

# الاستقلال الشكلي ومشرحية "ايكس ليبان"

---

من محضر جلسات "المفاوضات"  
حسب بيير جولي .

---

شكلت مفاوضات "ايكس ليبان" حول استقلال المغرب منعطفا أساسيا في المسار التاريخي لبلادنا خلال العصر الراهن . ورغم مرور ربع قرن على هذا الحدث ، فلا تزال ظروفه وملابساته غامضة مبهمه ، وللاسف ، فان الشباب المغربي بشكل عام ، لا يجد أى مستند جدى صادر عن الاوساط الوطنية ، يمكن الاعتماد عليه لفهم وتحليل هذا الحدث وغيره من الاحداث الاساسية التي طبعت مسيرة شعبنا خلال نضاله الطويل من أجل الاستقلال والتحرر .

والحالة هذه ، فان المستندات المتوفرة حاليا هي تلك الصادرة عن الاوساط الاستعمارية . لكن ، ورغم التوجه الاستعماري المفوض لهذا النوع من الوثائق ، فان استقراءها يمكنه أن يلقي بعض الاضواء على تلك الاحداث التاريخية .

في هذا الاطار ، نضع بين أيدي القارئ بعض المقطعات المتعلقة بمفاوضات "ايكس ليبان" من كتاب نشره "بيير جولي" تحت عنوان "جمهورية من أجل ملك" (دار النشر فايار – باريس – ١٩٧٤) . وبيير جولي هذا ، شغل منصب كاتب الدولة لدى رئاسة الحكومة الفرنسية (١٩٥٣) ثم عين وزيرا للشؤون المغربية في حكومة "ايدغار فور" سنة ١٩٥٥ . ومن المعروف أن "ايدغار فور" هو من أبرز أقطاب نظرية الاستعمار الجديد الذين خاضوا صراعات ضارية ضد أنصار الاستعمار العتيق ، وذلك للحفاظ على المصالح الجوهرية للاستعمار وصيانتها على المدى البعيد . أما بيير جولي – صاحب الكتاب – الذى يتبنى نفس النظرية الاستعمارية الجديدة ، فانه يعتبر الرجل

العملي والمنفذ الاساسي لتلك النظرية على الساحة المغربية، والساعد الايمن "لادغار فور" خلال مفاوضات "ايكس لبنان" بالذات .

أما الوثيقة التي ننشرها، فهي عبارة عن مقتطفات من محضر جلسات مفاوضات "ايكس لبنان"، ولا يفوتنا هنا على أن نؤكد أن كل ما يرد فيها هو من مسؤولية صاحب الكتاب السيد "بيير جولي" . ويبقى من مسؤولية المعنيين بالامر تركية أو تكذيب ما ورد في المحاضر المذكورة، أو تزويد الرأي العام بالحقيقة كما يرونها . . .

يقول "بيير جولي" :

" لقد استدعينا (للمفاوضات) ممثلين عن مختلف الاتجاهات يبلغ عددهم ٣٧ شخصية من بينهم ١٨ من التقليديين، و ١٠ من اتجاه الكلاوى، و ٨ وطنيين معتدلين، و ٩ وطنيين ضمنهم ٥ أعضاء من حزب الاستقلال ونقابيين اثنين . وكان البروتوكول يحدد لنا ترتيبا معيناً بالنسبة للقائات التمهيدية، اذ كان من اللازم أن نستقبل أولا المخزن، ثم تركت لنا الحرية الكاملة في ترتيب اللقاءات اللاحقة " .

مقابلات يوم الاثنين ٢٢ غشت ١٩٥٥

"وبالفعل، استقبلنا يوم الاثنين ٢٢ غشت، وفد المخزن برئاسة الوزير الحاج محمد بن عبد السلام المقرى . . . يساعده ولده التهامي المقرى . وهذا الأخير، الذى ازداد سنة ١٨٩٩، وكان أول مغربي تحصل على شهادة البكالوريا، وتخرج كمهندس زراعي من جامعة "مونبولي"، كان يعتبر المع وأرقى شخصية مخزنية . وهو في نفس الوقت رجل أعمال متفتح على كل مظاهر العصرنة، وعضو في نادى "الروتارى" . وكان السي التهامي متمسكا بشكل شديد بضرورة الحفاظ على علاقات وثيقة بين المغرب وفرنسا . وبالنسبة لهما معا (الوزير وابنه)، فان محاولة ترميم سلطة ابن عرفة هي محاولة عديمة الجدوى . ولقد صرح لي السي التهامي المقرى بما يلي :

"ان ابن عرفة، الرجل المسن والمريض والبشع والاعور، لم يكن أبدا الرجل المناسب . أما "كرانفال" (المقيم العام)، فان الخطأ الذى ارتكبه هو معاملته الحسنة للوطنيين واهمال أصدقائه فرنسا . . . ان "كرانفال" كان ينظر للامور بأعين حزب الاستقلال الذى هو حزب يسارى متطرف، وبنبركة الذى يغازل الشيوعيين هو المسؤول عن قسط وافر من الاحداث الراهنة . ويتوجب أيضا معاملة الكلاوى بمرونة، والاخذ بعين الاعتبار تعنته البربرى وحقده على بن يوسف، وبالتالي، تجنب مواجهته، اذ سيكون من الافضل استلطفاه بدل ارغامه على الالتجاء الى منطقة تالويت وتجنيد ألف فارس ."

ولقد برزت ضمن مجموعة المخزن، شخصية غريبة سيكثر الحديث عنها فيما بعد : الحاج عبد الرحمان الحجوى، مدير البروتوكول ورئيس فدرالية الغرف التجارية المغربية، الذى حصل على "وسام الشرف" (الفرنسي) . والحجوى هذا، المزداد سنة ١٩١٥، كان عدوا لذوذا للوطنيين الذين كانوا يهددونه دوريا بالتصفية . وهو يعتبر حارسا للسلطان وخادما له، ومفكرا للكلاوى في نفس الوقت .

ولقد تولى سنة ١٩٥٢، ادارة جريدة "الوداد" الممولة من طرف الاقامة العامة والتي شرعت في محاربة حزب الاستقلال والدفاع عن قضية التعاون المغربي الفرنسي من الزاوية التقليدية . ولقد لعب الحجوى ورقة بن عرفة، وربط مصيره بمصير هذا السلطان .

وفيما بعد، استمعنا الى السي برادة نائب الوزير المكلف بالشؤون الاقتصادية الذى اظهر تفضيله لحل يقضي بتكوين خلافة في المغرب باشراف بن يوسف . ولاختتام هذا اليوم الاول، استمعنا الى محمد الخلطي، ممثل فكرة الدمج بين السكان الفرنسيين والمغاربة . ومحمد الخلطي الذى تخرج من باريس، كان متزوجا بمعلمة فرنسية ابنة نقيب متقاعد . ولقد عبر هو أيضا عن رغبته في تنحية بن عرفة .

مقابلات يوم الاربعاء ٢٤ غشت ١٩٥٥

ابتدأت مقابلات يوم الاربعاء ٢٤ غشت بـ "قطعة مختارة"، الا وهي مقابلة الكلاوى . لقد عمّ الصمت في القاعة، وقام الكلاوى، ورتب هندامه، ثم قال : "أيها السادة، سأبتدا بالمؤاخذة التالية : لو تم القيام بالاصلاحات الضرورية بعد ذهاب بن يوسف، لما كانت الحالة على ما هي عليه الان . . . هذا ما كنا نعرفه، ولهذا السبب نظمنا هذه المفاوضات . . . ثم أضاف الكلاوى قائلا : "يتوجب على فرنسا أن تعلن رسميا أن بن يوسف ولا اولاده لن يصعدوا أبدا فوق العرش . وهذا يعني رسميا، أيها السادة، ان فرنسا تلتزم باحترام كلمتها . . . وانكم تدركون أننا في بلادنا لا نتسامح مع مبدأ العهد . وتحت هذا الشرط، وهذا الشرط وحده، سأنفذ تعليمات فرنسا" . . .

وبعد هذا جاء دور الاخوين الناصري : السي محمد مندوب عن الشؤون الادارية، والسي جعفر مندوب الوزير في الاشغال العمومية . والسي محمد المزداد سنة ١٨٩٥، تحصل على شهادات في اللغة العربية، وشهادات عليا في الشؤون الاسلامية والقضائية والادارية، اضافة الى ليسانس في الحقوق من كلية بوردو . ولقد تبوأ سنة ١٩٢٢، مسؤوليات اساسية في ديوان المارشال ليوطي، كما أنه تعرض سنة ١٩٥٥، لمحاولة اغتيال أصيب على اثرها بجروح بليغة . والناصري الموشح بوسام الشرف من درجة "قائد"، كان هو المستشار القانوني لابن يوسف . قال الناصري :

"انني قد احترمت القرارات التي تم اتخاذها، لكنه كان من اللازم مباشرة بعد ذلك، اجراء اصلاحات الضرورية. وابن يوسف يعتبر منذ ان تم نفيه ضحية وبطلا في نفس الوقت. أما بن عرفة، فيجب ان يذهب الى حال سبيله، ويجب ترتيب كل هذا باتفاق مع اسبانيا، لان العديد من مشاكلنا يأتي من المنطقة الاسبانية".

وكان آخر متدخل خلال هذا اليوم هو الكاتب العام لحزب الشورى والاستقلال، هذا الحزب اللاتيني ذي الاتجاه الجمهوري، والذي كان قريبا للغرب أكثر من منافسه حزب الاستقلال. وكان عبد القادر ولد جبيقة بن جلون محاميا مرنا وذكيا متأثرا بالثقافة الفرنسية. لقد تزوج امرأة فرنسية أبوها الماني، وكان موقفه متذبذبا تجاه بلادنا، خاصة خلال الحرب الاخيرة. لكنه غير موقفه منذ أن استقر بباريس سنة ١٩٥٣، ثم بسويسرا بعد ذلك. وكان معاديا لاعمال العنف، ومويدا للتعاون بين المغرب وفرنسا. ولقد أدلى لنا بما يلي:

"ان ابن يوسف هو رمز السيادة المغربية. وما تعلقنا بشخصه سوى احتجاج ضد انتهاك الشخصية الشريفة. وان حزب الشورى والاستقلال الذي يعبر عن المقاومة المغربية والمناضل من أجل سيادة المغرب واستقلاله، يرى أن السلطان هو، ضمن هذه الافاق، رمز للدولة المغربية وحارسها".

وبعد هذا، قابلنا الوطنيين المعتدلين، ومن بينهم السيد الفاطمي بن سليمان الباشا السابق لمدينة فاس، والحاج عباس التازي، والمنصوري قائد الرحامنة، الذين أخذوا الكلمة... قال الفاطمي بن سليمان:

"ان الحكومة الحالية هي حكومة مكونة من أناس شكليين. والذي نحن بحاجة اليه، هو حكومة ائتلاف وطني بموافقة بن يوسف، الذي ليست له أية نية في الصعود من جديد فوق العرش. وانني أريد في النهاية أن أتوجه بعبارات التقدير للسيد كرانفال. اذ أن أي مقيم عام لم يتمكن من كسب ثقة المغاربة أكثر منه، وذلك منذ عهد ليوطي".

مقابلات يوم الخميس ٢٥ غشت ١٩٥٥

أما يوم الخميس ٢٥ غشت ١٩٥٥، فلقد خصصناه لاستقبال باشوات الدار البيضاء وأزمور ومكناس وأيت عياش وزعير وأكادير. ولم تكن ننتظر منهم أن يطالبوا بعودة بن يوسف. ان هؤلاء الرجال الاغنيا والفقها أكدوا كلهم من جديد وفاءهم لفرنسا. ولقد عبر باسمهم السي المدني باشا مدينة أكادير، عن قناعته بأن المغرب لم يكن ناضجا لنيل الاستقلال كما يطالب بذلك حزب الاستقلال، وأنه يتعين على فرنسا فرض بن عرفة ومساندته وحمايته.

أما التدخل الثاني، فلقد كان لعبد الرحيم بوعبيد الذي قال:

"ان بن يوسف يجسد المغرب بالنسبة للشباب والنساء. ولا يمكنكم ان

تغيروا شيئا من هذا. وحزب الاستقلال لن يقبل بمبدأ تكوين مجلس العرش الا اذا كان مرفوقا باتفاق بن يوسف. لكن المشكل الاساسي ليس هو هذا أيها السادة. المشكل الاساسي هو العلاقات الفرنسية المغربية. ان الحماية الفرنسية قد جعلتنا على صلة بالعالم بعد أربعة عشر قرنا من الانعزالية المتوحشة حتى تجاه الاسلام. وبفضل فرنسا تأكدت شخصيتنا. وهذه الشخصية لا تطالب الا بأن تتبلور، دائما بفضل فرنسا. وبمساعدة فرنسا، فاننا نريد أن نصبح دولة حرة وذات سيادة، لكننا مستعدون لاحترام المراحل التي تتطلبها الظروف. والاستقلال لن يتم بكل تأكيد اليوم، ولا حتى غدا. ان الهدف النهائي لكفاحنا هو الاستقلال، لكن اذا كان من المستحيل منحنا اياه، فيتوجب على فرنسا أن تعترف رسميا، على الاقل بهوية المغرب في هذا الاستقلال".

ولقد هزّ هذا الكلام الموزون مشاعر السيد أنطوان بينيه الذي كان يعارض فيما قبل مقابلة "المجرمين وأعداء فرنسا"، فأجاب (على بوعبيد) قائلا:

"ان فرنسا ليست لها أهداف أخرى سوى تلك التي عبرت عنها. ولا يتعلق الامر الا بضبط مراحلها وتحديد وسائلها".

مقابلات يوم الجمعة ٢٦ غشت ١٩٥٥

لقد ابتداء يوم الجمعة ٢٦ غشت باستقبال الشريف الكتاني المنحدر من سلالة مولاي ادريس، وهو كثير الذكاء وفقه مشهور في كل العالم الاسلامي، وشيخ الزاوية الكتانية التي لها أنصار في شمال افريقيا كلها. قال الشريف الكتاني:

"اننا نعيش منعرجا تاريخيا هاما. فيرلين الشرقية محتلة من طرف قوات هائلة، واذا ما فقدت فرنسا افريقيا الشمالية، فلن يبقى لها سوى الارتما في أحضان الروس. ولقد لعب "بيتان" دورا سيئا تجاه هتلر عندما حافظ على افريقيا الشمالية وأدخل الامريكان اليها. ان على هؤلاء البدء بتحرير السود الموجودين عندهم قبل التفكير في اعطاء الدروس لفرنسا (...). ان الوطنية تأتي من روسيا، وتنضج في القاهرة، ثم تتبلور في تطوان..."

وكجواب عليه، أعطاه "ادغار فور" الضمانة على أن فرنسا ستظل بأى ثمن في افريقيا الشمالية، وأنها ستعمل على حماية أصدقائها مثله ومثل الكلاوى... وبعد هذا جاء دور الجالية اليهودية، وكان جاك دحان - خريج في الفلسفة والعلوم الدينية - هو أبرز شخصية ضمنها (...). ولقد طرح هذا الاخير أنه سيكون من الخطير الاعلان رسميا عن عدم عودة بن يوسف، كما انتقد القادة الوطنيين ووصفهم بأنهم تنقصهم الشجاعة، ثم عبر عن اتفاقه مع مبدأ تكوين مجلس للعرش مع التطبيق الفوري للاصلاحات دون انتظار أن يعود الامن للبلاد (...).

يوم السبت ٢٧ غشت ١٩٥٥

لقد بقي لنا يوم واحد لاجراء آخر اللقاءات، وهو يوم السبت ٢٧ غشت . وعلى الساعة العاشرة صباحا، استقبلنا الوزير (الصدر الاعظم) وولده السي التهامي، بهدف تحديد مسطرة خلع بن عرفة ( . . . ) وقد أكدا لنا استعدادهما لمساعدتنا كما أكدا من جديد أن بن عرفة مستعد للذهاب الى طنجة . ولقد صرح لهما هذا الاخير : " ان الله لا يمكن أن يكون معي وحدي ضد شعب بأكمله " . . .

وكنا نرغب في الالتقاء بعد الظهر مع ممثلي حزب الاستقلال ثم حزب الشورى والاستقلال للبحث معا على حل مقبول من طرف الجميع للمسألة المغربية . وكان وفد حزب الاستقلال يضم اضافة الى بوعبيد الذي استقبلناه يوم ٢٥، كلا من بنعبد الجليل وبنبركة ( . . . ) . لقد تعاطى بنعبد الجليل السياسة منذ بلوغه سن الرشد ، وأصدر مجلة "المغرب" وساهم في جريدة "نضال الشعب" ، وقد نال مكانة بارزة داخل حزب الاستقلال منذ سنة ١٩٤٦، حيث كان يعتبر الخليفة المحتمل لاحمد بلافريرج الكاتب العام للحزب .

أما بنبركة الذي عرف أكثر بعد موته، فقد كانت له علاقة بالحزب الشيوعي بعد أن أنهى دراسته بشكل لامع، ثم أصبح من أبرز قادة حزب الاستقلال ، حيث كان يثير الانتباه بأسلوبه العنيف ( . . . ) .

ورغم هذا فقد عبر الرجال الثلاثة عن الرغبة في الاعتدال . وكان "جاك دوهاميل" - الذي كان لا يعرف الراحة وكان اصراره يثير اعجابنا - يحاول نيل موافقتهم على مخططنا . وحتى مطالبة بنبركة بـ "الحصول على تصريح من طرفنا يؤكد وحدة المغرب وسيادته" ، لم نلبث أن لبيناها ( . . . ) .

ان مجمل هذه المقابلات لم تزودنا في الواقع بمعطيات جديدة، لكنها أكدت لنا أن هناك حلا ممكنا . وكان بإمكاننا حصر خمس نقاط تتفق عليها جميع الوفود، وهي : ذهاب بن عرفة في ظروف مشرفة ودون تنازل عن العرش، تكوين حكومة تسيير ومفاوضة مع فرنسا، ضرورة الحصول على تركية بن يوسف ورجوعه الى فرنسا ( . . . ) . ان هذه النقاشات وامتداداتها في الكواليس قد تمت بلباقة عالية . وهو لا الرجال الذين كانوا بالامس، يتقاتلون في أزقة الدار البيضاء، يتناقشون الان بهدوء وبشكل يكاد يكون وديا .

لقد استرجعت فرنسا دورها كوسيط، وغادرنا "ايكس لبيان" بقناعة، أو على الأقل بأمل، على أن الحوار سيستمر في جو تمت تهدئته .

\*\*\*

ملاحظة أخيرة:

ان هذا النص الذي قدمه مؤلف الكتاب الاستعماري الجديد "بيير جولي" يوضح لنا أن كلمة "مفاوضات" لا تنطبق في الحقيقة على ما جرى في "ايكس لبيان" بشأن مصير المغرب، بل هي مجرد "مناورة" ومشاورات في شكل مسرحية ذات فصول، نظمها وأتقن تنظيمها الاستعماريون لتتويج مخططات مبيتة . . . وشارك من شارك فيها . . كل من موقعه، وحسب مصالحه، مع توفير الاغلبية الساحقة للمخزن والرجعية والاصلاح . . والهدف من كل ذلك : اجهاض الثورة الوطنية المغربية، وتجريد الشعب المغربي من مكتسبات كفاحه وتضحياته، و"ادخال الاستعمار من النافذة بعد أن خرج من الباب" كما يقول الشهيد المهدي بنبركة، أو كما يقول المثل الشعبي "المنجل هو المنجل ولم تتغير الا اليد القابضة به" . . . من هنا تبرز الاهمية البالغة للنقد الذاتي الذي قدمه اخونا وقائدنا الراحل المهدي بنبركة، والحاحه على عدم تكرار "الاجطاء الثلاثة القاتلة" كما وصفها، وضمنها "المفاوضات" في نطاق مغلق، في غياب عن الشعب وعلى حسابه .

★